المحاضرة السادسة: الأدب الفرنسي

لمحة عن الأدب الفرنسي

حاولت فرنسا إنشاء أدب قومي خاصة خلال الثلث الأخير من القرن الخامس الميلادي إلى منتصف ق15 تقريبا غير أن المحاولات الأولى كانت أشبه بمحاكاة أو تقليد الأدب اللاتيني كما أنها لا تكاد تخرج عن الإطار الديني سواء في مضمونها الذي يعالج حياة القديسين ومآثرهم أو في شكلها الذي يلتزم أسلوب العفة والتقوى غير أن القرن 11 م يعد محطة جديدة برز فيها الأدب الفرنسي- بصورة محتشمة حيث ظهرت أشعار حكائية ترتل ترتيلا على الجمهور في المناسبات المختلفة تختلف في الطول والقصر- إذ تتراوح مابين2000و 20000 بيت شعر وأشهر هذه الأشعار الحكائية نجدها تتمثل في ملحمة **رولان والتي** تحتوي على 8880بيت من الشعر وكل الملاحم الأخرى المسماة أغاني المفخرة هي من هذا القبيل تدور أحداثها حول شخصيات بطولية أو وهمية تقوم بأعمال جسام تبرز فيها قوة وشجاعة وكان الهدف من ظهورها هو الدفاع عن الديانات التي كانت في ذلك الوقت.

لقيت هذه الموضوعات تجاوبا من المجتمع الفرنسي- وهو ما أدى إلى انتشار الملاحم لمدة ثلاثة قرون كما شهد الأدب الفرنسي- القديم اكتساحا للشعر الغنائي وهو فن عاطفي يسمى بالشعر الرومانسي- وقد شاع في الأوساط الأرستقراطية نال نوعا من التقدير ومن بين من نظم في هذا الشعر غليوم التاسع, وقد شاع في فرنسا نوعين من الشعر **التروبادور** في شمالها و**التروفير** في جنوبها.

أما القصة: اقتبست القصص من الميثولوجيا الإغريقية مثل مغامرات الاسكندر وقصة طروادة وقصص- أخرى مستوحاة من الإلياذة والاوديسة كما عرفت قصص عبرت عن خيال فرنسي- خصب مثل التي كتبتها ماري دي فرانس كان الهدف من بعض هذه القصص تهذيب النفس فيما اتجه بعض المؤلفين ر إلى الأدب الفكاهي الذي نتج عنه "الفابيلو" كقصة جان بودير.

وقد عالجت هذه الأنواع المختلفة قضايا الناس والمجتمع في قالب يجمع بين الهزل والجد وكتبت أحيانا في قالب رمزي مثل قصة الثعلب التي تظهر عيوب المجتمع ومفاسده.

أما المسرحية: وجد في المسرح الفرنسي- القديم نوعين منه الديني والدنيوي فالأول وليد الطقوس الدينية- لكنه تحول إلى تعاليق قصيرة تختص بها الكنيسة ورهبانها ،وفي القر ن 12اتسمت المسرحيات بالنضج في عناصرها وقوالبها .

أما المسرح الدنيوي فهو عبارة عن مسح يتناول عيوب الناس وكان قليلا بحكم الممارسات السياسية التي عملت على قمع مثل هذه النتاجات اتسمت بالحوار الطريف والنقد الساخر الغير مباشر .

/مراحل الأدب الفرنسي- :

الأدب الفرنسي- في مرحلة الانبعاث:تعود هذه المرحلة إلى القرن 16 - حيث انتهى النظام الإقطاعي وظهرت الرأسمالية وقد واكب هذه الحقبة تطور حضاري وقد برزت العديد من النظريات التي تمجد الإنسان مثل النظرية الإنسية التي تقوم على الحرية والاهتمام بحياة الإنسان والاتجاه إلى مشاكله شغف أنصار هذه النظرية بالترجمة للأدب القديم والاهتمام بالموازنات وبعث الآداب الجميلة.وسميت هذه المرحلة بمصطلحات عديدة منها" مرحلة العودة ومرحلة الانبعاث وكذلك كلمة الانسية المستوحاة من اللاتينية **POST LIMINIUM**

أسباب حركة الانبعاث : تعود إلى الغزو الفرنسي- الايطالي حيث حدث احتكاك عميق بين الثقافتين إذ اطلع الغازون على دفاتر الفن الإيطالي من قصور وقلاع وحلي وأثاث فاخر وآلات موسيقية إلى جانب الحياة الزاهية التي بهرت الفرنسيين عكس حياتهم البائسة.

مجيء فرانسوا الأول الذي كان مثقفا مشجعا للآداب حتى لقب بأب الآداب فقد وسع مجال اللغة- الفرنسية وصارت لهجة" إي لدي فرانس"لهجة معتمدة في المجالس الرسمية والعقود

مرحلة الثريا: ظهر نوع من الاضطراب حيث ساد انقسام بين دعاة الانبعاث وبين الاتجاه الكلاسيكي- المحافظ .

استعملت الكلمة في البداية للدلالة عل فرقة مكونة من سبعة أعضاء من بينهم "رونسار وبيلتيه وهم مجموعة من الشباب التواق إلى اكتشاف الجمال العلمي المستوحى من أمهات الكتب الإغريقية حيث كان اللقاء الأول بين رونسار وجاك بيلتيه حيث اتفقوا على إشهار اللغة الفرنسية.

وفي المقابل ظهر البلاغيون خلال النصف الثاني من ق 15 وعرفوا باعتنائهم بالأسلوب البلاغي الراقي وبالقوالب اللغوية المنمقة حيث وجهوا أدبهم إلى البلاط وحكامه وقد تحول أدبهم بفعل الإفراط في مدح الملوك إلى تأريخ لهم فتغنوا بمناقبهم وانتصاراتهم وبكوا أمجادهم واحتفوا بأفراحهم.

ولقد استطاع الأدب الفرنسي- أن يتطور بسرعة نتيجة للتيارات الأدبية التي ظهرت وساهمت في نشره والترويج له خاصة الاتجاه الرومانسي- وعرفت بالعديد من أعلام الكتابة الإبداعية الذين ترجمت لهم أعمالهم التي دخلت باب العالمية مثل البؤساء لفيكتور هوجو والأحمر والأسود لستندال وغيرهم كثر على عرش الأدب ، ولعلّ رواية البؤساء لفيكتور هوجو هي من بين الأعمال الأدبية الفرنسية الأكثر مقروئية في نوعها.

ملخص الرواية:

أ/ من هو فيكتور هوجو؟

فيكتور ماري هوغو)بالفرنسية(Victor Marie Hugo : (وُلِدَ في 26فبراير - 1802 توفي في 22مايو (1885 كان أديبا وشاعراً وروائياً فرنسياً، يُعتَبر من أبرز أدباء فرنسا

في الحقبة الرومانسية، وتُرجمت أعماله إلى أغلب اللغات المنطوقة. وهوَ مشهورٌ في فرنسا باعتباره شاعِراً في المقام الأول ثم روائياً، فقد ألّف العديدَ من الدواوين لعلّ أشهرها ديوان *تأملات Les Contemplations* وديوان *أسطورة العصور La Légende des siècles*. أمّا خارِج فرنسا، فهو مشهورٌ لكونِه كاتِباً روائياً أكثر من كونه شاعِراً، وأبرَز أعمالِه الروائية هي رواية *البؤساء* و*أحدَب نوتردام*. كما اشتَهر في حِقبَته بكونِه ناشطاً اجتماعياً حيث كانَ يدعو لإلغاء حُكم الإعدام في كتابه الشهير Le dernier jour d'un condamné كما كانَ مؤيّداً لنظام الجمهورية في الحُكم، وأعمالُه تَمَس القضايا الاجتماعية والسياسيّة في عصره.

وُلِد هوغو عام 1802 في بيزنسون، وتوفّي عن عُمرٍ يناهز الـ83 عام 1885، ودُفِن في مقبرة العظماء. واشتهر فكتور هوغو حول العالم، وقد تمّ تكريمُ ذكراه بعدّة طُرق، فمثلاً وُضِعت صورته على الفرنك الفرنسي، وقد اقتُبِست روايته *البؤساء* للعديد من الأعمال التلفزيونية والسينيمائية والغنائية والمسرحيّة.

ب/ ملخص رواية البؤساء:

يبدأ فيكتور هوجو في روايته بالتحدث عن السجين الذي يُدعى جان فالجان، والذي تم القبض عليه وسجنه في سجن طولون الذي قضى فيه أكثر من 19 عام من حياته، ففي البداية تم القبض على جان فالجان بتهمة سرقة الخبز من أحد المطاعم، فكان يبحث عن الطعام لأخته ولأولادها الصغار عندما سرق الخبز، ولكن من سوء حظه أن الشرطة قبضت عليه، وقضى خمسة أعوام في السجن، وفي تلك الأعوام حاول جان الهرب أكثر من مرة، ولكنه كان يفشل وكانت تقبض عليه الشرطة مرة أخرى، حتى حكم عليه القضاء بالسجن لمدة 14 عام بتهمة الهرب.

ومن ثم تم إطلاق سراحه في عام 1815، وكان جان يحمل جواز السفر الأصفر، ويشير هذا الجواز إلى أنه مسجل في الدولة كمجرم سابق، الأمر الذي جعله مرفوض في المجتمع،

فكان لا يستطيع الذهاب إلى الفنادق من أجل أن يقضي ـ ليلته في النوم، ولا يقبل به المستأجرون، وعاش حياته متشردا ينام في الطرقات، ويعاني من حياة التشرد.

وبعد مرور وقت طويل من معاناة جان، قابله أسقف المدينة، وأقنعه بالذهاب معه إلى البيت لينام فيه ويستريح، ويترك حياة التشرد، فذهب معه جان ولكنه قام بسرقة بين الأسقف، فأخذ منه الأواني الفضية والمشغولات وهرب في وقت الليل، ولكن الشرطة رأته وقامت بالقبض عليه واتهامه بالسرقة، ولكن الأسقف أخبر الشرطة بأنه هو من قام بإعطاء جان تلك الأشياء، وأنه لم يسرقها، كما قام الأسقف بإعطاء جان شمعدانين من الفضة أيضاً، وطلب منه أن يقوم ببيعهم، وبعدما يحصل على الأموال، يقوم باستغلالها ليعمل عملاً شريفاً، ويكون رجلاً صالحاً، وأن هذا المال هو هبة من الله إليه.

قام جان ببيع الأواني وكسب أموالها، ولكنه في خلال تلك الرحلة قام بالسرقة مرة أخرى، ولكنه في تلك المرة شعر بالندم، وقرر إعادة الأشياء التي سرقها إلى صاحبها، ولكن رجال الشرطة كانوا يبحثون عنه بالفعل، فقرر جان تغيير اسمه إلى اسم مادلين، ليبدأ حياة جديدة بعيداً عن الحياة التعيسة التي كان يعيشها، وبعد مرور ستة أعوام، انقلبت الأحوال وأصبح مادلين من الأثرياء في المدينة، كما تم تعينه عمدة البلاد، ليحكم المدينة لفترة، ومن ثم يتم اكتشاف شخصيته الحقيقية وأنه كان سارق في السابق، ليمثل أمام المحكمة مرة أخرى.

ج/ آراء النقاد في الرواية:

يقول الناقد الأدبي قسطنطين ليفين عن البؤساء:

بؤساء هيجو؟ يا للعظمة! البؤساء لا تموت! هي حية وحارة وستعيش لعقود وقرون قادمة, لأن ما طرحه فيكتور هيجو في هذه البؤساء الهائلة الحجم هي مايعانيه البشر اليوم. إذا كان مجد دستويفسكي قائم على خوالده الخمس، ومجد تولستوي قائم على الحرب والسلم وآنا كارينينا والاعترافات، وإذا كان مجد شكسبير قائم على التراجيديات

والكوميديا والقصائد, فإن فيكتور هيجو يرتفع لوحده بعمل واحد فقط: البؤساء. حتى أحدب نوتردام لا تستحق أن تصنف بأنها عمل خالد أو يستحق، لأن المؤلف الذي استطاع أن يكتب البؤساء، يستحق أن يترك الكتابة ويتفرغ لهذا المجد الذي ارتفع ولن يسقط. أحب القراءة لدستويفسكي، وأحب قراءة تولستوي. أحب القراءة لهم جداً. بل إنهم أحد أكثر المفكرين الذين تأثرت بهم، لكن أياً منهم لم يكن مثل فيكتور هيجو.

إنه يحكي هذه الرواية كشيخ طاعن في السن يقصها على مجموعة من البشر، فيهم الطفل والشاب والمراهق والعجوز, فيهم الرجل والمرأة. يتكلم بهدوء وبمحبة لهم، فيضحكهم هنا، ويبكيهم هناك، يخرج بهم من القصة إلى الفلسفة، ومن الفلسفة إلى الحب، ومن الحب إلى الإنسان: الإنسان القارئ، والإنسان بطل الرواية .

من جهة أخرى يرى أحد النقاد العرب أنه كم من " رواية تنسج خيوطها كل يوم، وكم بائس يولد من جديد، يبعث ليضاف إلى بؤساء خلقهم هيغو من خيال(...)، كان هيغو واعيا أن بؤساءه سيبعثون من جديد وأن روايته التي نسجها من أدب تحمل لعنة لا مفر منها، ستظل تتجدد حبكتها وتتعقد أكثر.